التربية والتعليم

عند قدماء المصريين

للدكتور حسن كمال

اكرام الاساتذة

والآن ننتقل الى موضوع اكرام اجدادنا لاساتذتهم وشدة احترامهم اياهم ومنهُ يتضح عظم تقديرهم للعلم وشدة ولعهم بالتعليم ومعاهده. ولا ادلّ على ذلك من ايراد خطاب كتبه طالب الى استاذه ورد بقرطاس البطاسي [1] وفيه يتجلى الشعور الرقيق والاحترام والحب الذي كان يضمر قلوب التلاميذ نحو معلميهم. واليكم تعريبه: —

«الى الاستاذ . . لقد تعهدت تربيتي في طفولتي وكنت تضربني على ظهري حتى دخلت تعاليمك في اذني. انني الآن اشبه بالجواد المرح فلا نوم يأتيني نهاراً ولا نعاس يغشاني ليلاً وكل همي ان اقوم بما يرضي سيدي كما يخدم الخادم سيده

«اتمنى لو اشيد لك قصراً انفق بلدتك تحيطهُ الاشجار من كل الجهات. به زرائب مملوءة بالمواشي وشونٌ ملآنة شعيراً وقمحاً . . وبه القمح والفول والعدس . . والكتان والخضراوات . . وفواكه تكلل بالسلال واتمنى ان يكون لك مع القصر اغنام يتضاعف عددها وكذا بقرات حبالى . وان اروح لك خمسة افدنة بالخضراوات في جنوب بلدتك من خيار وغيره وخيرات كعدد الرمال . . . .

وجاء بقرطاس البطاسي [2] ايضاً خطاب من تلميذ الى معلمه نقتطف منهُ ما ترجمته: —

«سيدي العزيز: اطال الله عمرك ووهبك الخيرات كل يوم. واسبغ عليك السرور والفلاح والرضى مرات لا تعد ولا تحصى. وجعل الفرح والسرور ملازمين لك والصحة من نصيب اعضائك. انت تزداد شباباً بمرور الايام ولا يعتريك الاذى وتدور احياناً بمخيلتي فأتذكر جمالك الفذ الذي لا يضارعه جمال. عيونك تتلألأ كل يوم واذنك تنصت (لكل ما يقال). صدرك جميلة جداً. واشهرك مقرونة بالنعيم. وايامك ملآنة حياة وساعاتك كلها صحة وسلامة. الآلهة راضية عنك راغبة في كلامك . . . »

الآثار العلمية

﴿الخط الهيرغليفي﴾ يعتبر استنباط الكتابة في ذاته اهم ما انجبه الذهن المصري القديم من الوجهة العلمية. فبه تمكن اجدادنا من اثبات معلوماتهم واخبارهم نقشاً على الحجر او كتابة على الورق.

(١) Pap. Anast. III 4, 4 (٢) Pap. Anastase IV. 8. 7 ff

فسجلوا بذلك مباحثهم العلمية وابتزوا سبقهم لسائر الامم في كل العلوم ولعمري كم من السنين سبقوا القوم في ابتكار هذا الخط في حوال معاشية اقل ما يقال عنها انها فطرية. وكان الخط الهيروغليفي في مبدئه صوريٌّ . وبالرغم من التحسينات التي طرأت عليه قد حافظ على صوريته الى آخر عهده . ونسب القوم ابتكار هذا الخط الى معبودهم (تحوت) . وحوالي عام ٣٠٠ بعد الميلاد زال كل اثر للخط الهيروغليفي فبقي مجهولاً حتى عام ١٧٩٩ ميلادية لما اكتشف حجر رشيد . ومما عرفنا ان الاحرف المصرية القديمة نوعان صوريٌّ وصوتيٌّ . وان الاحرف الصورية قسمان هجائي ومركب . وتمثل الاحرف الصورية الاشياء التي تعنيها . ويكتب الخط الهيروغليفي من اليمين الى الشمال او من الشمال الى اليمين او بهيئة اعمدة رأسية . ويقرأ من الجهة التي تتجه اليها اوجه الحيوانات والطيور . ولا يخفى ان هذا الخط هو مجموعة لحيوانات واشجار وادوات ذات الشكل الجذاب . لذلك استعمل كثيراً لزينة المعابد والمنازل والادوات المنزلية كالصناديق والحلى وادوات الحرب وغير ذلك . ومن هذه المصادر استنتجنا شيئاً كثيراً من معلومات هؤلاء القوم . والجزء الباقي وصل الينا عن طريق القراطيس البردية وروايات المؤرخين

ومن اقدم الازمنة المعروفة اختزل هذا الخط الى الخط الهيراطيقي الذي اعتاد القوم ان يكتبوه على الادراج البردية والتوابيت الخشبية . ويكتب عادة من اليمين الى الشمال ووجد هذا الخط على بعض قصاصات بردية من عهد الاسرة الرابعة (٢٧٢٠ — ٢٥٦٠ ق . م) بجزيرة الفيل باسوان واقدم سجل هيراطيقي هو المعروف باسم قرطاس (پريس Prisse) الذي يرجع تاريخه الى الاسرة الحادية عشرة (٢١٠٠—٢٠٠٠ ق . م) وهو محفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس Bibliothèque Nationale واستمرَّ استعمال الخط الهيراطيقي حتى القرن الرابع بعد الميلاد

واختزل الخط الهيراطيقي في عهد الاسرة الخامسة والعشرين حوالي (٧١٢ ق . م) واطلق عليه اسم الخط الديموطيقي الذي بطل استعماله حوالي القرن الرابع بعد الميلاد

﴿علم الفلك وتقسيم الزمن﴾ من سنة ٤٢٤٢ ق . م . استعمل المصريون السنة الشمسية في توقيتهم وقسموها الى ٣٦٥ يوماً . وقد رسموا السماء وعرفوا اسم نجومها وابتدعوا الآلات التي تعرفهم مواقع النجوم . وهناك رسوم لمواقع النجوم لكل خمسة عشر يوماً على طول السنة . واسم مراصدهم كان في طيبة ودندرة ومنف وعين شمس . وقسم القوم سنتهم الى ثلاثة فصول زراعية وكل فصل الى اربعة اشهر فصارت بذلك السنة اثني عشر شهراً . ولم يستعمل المصريون في زمنهم وحدة اطول من السنة ولم يستعملوا الاسبوع وقسموا الليل والنهار الى اثنتي عشر ساعة . وابتكروا ساعات الظل والمزاول والساعات المائية

﴿الزراعة﴾ اهتم المصريون بالزراعة منذ اقدم العصور فقسموا سنتهم الى ثلاثة فصول فصل البذر وفصل الحصاد وفصل الفيضان . وابتكروا مقاييس النيل وفرضوا الضرائب على المساحة

المزروعة . وشادوا خزاناً بالفيوم يخزن مقداراً من الماء يكفي لري الدلتا بعد هبوط النيل . وابتكروا الشادوف والفأس والمحراث والمدراه والمنجل ومساحة الاراضي وأنشأوا الترع والجسور . واعتنوا بالحيوانات الداجنة واستوردوا الاشجار والحيوانات من البلدان المجاورة . وتفننوا في الصناعات الزراعية . ونقشوا كل ذلك على جدران مقابرهم

﴿ الهندسة والحساب ﴾ اهم ما عثر عليه من هذين العلمين هو قرطاس (Rhind) المحفوظ بمتحف لندرة وهو قرطاس يرجع تاريخه الى حوالي ١٦٠٠ ق . م. وجميع المسائل التي فيه عملية وتتطلب معرفة كبيرة في علمي الحساب والهندسة

مثال (١) (عملية ٣٩) مطلوب قسمة مائة رغيف على عشرة رجال بحيث يكون نصيب ستة رجال خمسي رغيفاً ونصيب الاربعة الباقين الخمسين رغيفاً الباقية

تحل هذه المسألة بايجاد العدد الذي يضرب في ٤ كي يصير حاصل الضرب ٥٠ وهو في هذه الحالة ١٢ ½ ثم ايجاد العدد الذي يضرب في ٦ كي يصير حاصل الضرب ٥٠ وهو في هذه الحالة ٨ ⅓

مثال (٢) مطلوب معرفة مساحة مثلث ارتفاعه ١٠ (خت) وقاعدته ٤ (خت). الحل : قسم ٤ على ٢ فتكون النتيجة ٢ وهو طول ضلع المستطيل الذي مساحته تساوي مساحة المثلث : اضرب ١٠ خت (وهو ارتفاع المثلث) × ٢ فيساوي ٢٠ خت مربع وهو المساحة المطلوبة

ولا يخفى على القارىء ان المقام لا يتسع للتفصيل لذلك اكتفيت بذكر ابسط مثال حسابي وآخر هندسي مشفوعين بطريقة حلها . لكن زيادة في الايضاح سأورد بياناً ببعض الامثلة التي كانت توضع للطلبة للاجابة عليها للاستئناس بها فقط

(١) ما هو الكسر الذي يضاف الى ⅔ + ½ كي يصير المجموع ١ صحيح (عملية ٣١)

(٢) قسم ستة ارغفة على عشرة رجال (عملية ٣) : قسم تسعة ارغفة على عشرة رجال (عملية ٦)

(٣) ما هو العدد الذي اذا اضيف اليه ربعه يكون المجموع ١٥ — الجواب ١٢ (عملية ٢٦)

(٤) ما هو العدد الذي اذا اضيف اليه نصفه وربعه يكون المجموع ١٠ — الجواب ٥ ¼ (عملية ٣٤)

(٥) ما حجم المكعب الذي يبلغ طول كل ضلع فيه ١٠ — الجواب ١٠ × ١٠ × ١٠ = ١٠٠ × ١٠ = ١٠٠٠ (عملية ٤٤)

(٦) هرم طول ضلعه ١٤٠ ذراعاً ونسبة ميله ٥ ½ قبضة فما هو ارتفاعه ؟ الجواب ٩٣ ⅓ (عملية ٥٧)

(٧) ما مساحة قطعة ارض دائرية قطرها ٩ (خت) (عملية ٥٠)

(٨) هرم طول ضلعه ٣٦ ذراعاً وارتفاعه ٢٥٠ ذراعاً والمطلوب نسبة ميله (عملية ٥٦)

﴿ الطب ﴾ : برع القدماء المصريون في الطب وخلفوا لنا الاوراق البردية والنقوش الطبية العديدة وأثبتوا لنا بأجلى صورة طول باعهم في هذا العلم . فهم أول من اعتبر القلب مركزاً للاوعية. وأول من اكتشف النبض وعلاقته بالقلب . ثم أنهم أوردوا لنا رسوماً واضحة لعملية الختان وذلك

مقبرة بسقارة ورسوماً اخرى لتجهيز العظام في المقبرة نفسها. وأوضحوا لنا وجود مرض السل بالعمود الفقري ولين العظام وأمراض العظام الاخرى وذلك في صور الاشخاص المنقوشة على جدران المعابد أما معلوماتهم عن التحنيط فقد كنا ولا حرج لهم إذ لم أوجد هذه الطريقة وأتقنها واستعملوا لذلك العقاقير المتباينة والاجراءات الجراحية الفنية المختلفة. وقد أخذ الغير عنهم هذه الصناعة حتى انتقلت الى آسيا وامريكا وغرب افريقيا واليهم يرجع الفضل في استعمال العقاقير الكثيرة في العلاج حتى عهدنا هذا. من ذلك: زيت الخروع. وقشر الرمان والحنظل. وكبريتات النحاس. والافيون وغير ذلك

التعاليم الدينية والفلسفية

﴿ التعاليم الدينية ﴾ هي اقدم ما عرف من علوم قدماء المصريين. وجدت مدونة في عدة جهات من اهرام وتوابيت وصناديق قبور وأدراج بردية وغير ذلك

واهم هذه التعاليم هي المبروطة بنصوص الاهرام[1] التي يرجع تاريخها الى الاسرتين الخامسة والسادسة (٢٥٦٠–٢٢٧٠ ق.م) وهي خاصة بنعيم الميت وسمو التعاويذ الكثيرة لراحته في الآخرة وكذا الدعوات التي كانت ترتل وقت تقديم القرابين. ومن عهد الاسرة التاسعة (٢٢٤٠ ق.م) حتى الاسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ — ٩٤٥ ق.م) نقش الامراء هذه النقوش على توابيتهم من الداخل. وهناك تعاليم دينية اخرى وجدت مكتوبة على توابيت الموتى خاصة بالرحلة المقصد منها ضمان الغذاء والشراب والراحة لصاحبها والتمكن من الظهور بالشكل الذي يرغبهُ كي يتابع سروره وملذاته وتعرف هذه النصوص باسم نصوص التوابيت Coffin Texts[2]

وهناك نصوص دينية اخرى تعرف باسم كتاب الموتى Book of The Dead هي مجموعة دعوات وصلوات وتعاويذ متنوعة وردت مدونة بكثرة على الورق البردي حتى العهد الروماني

ثم كتاب الآخرة Book of what is in the underworld[3] وكتاب ابواب الآخرة Book of Gates[4] ودعاء الشمس Litany of the Sun[5] وقصة ابادة البشر Destruction of Mankind E. Naville Recherche 4. I. 12 ومدائح المعبودات Hymns to the Gods مثل مدحة النيل Hymn to the Nile Maspero 1912 ومدحة امون رع Hymn to Amen Re ومدحة اتون Hymn to Aten Vol 4,6 Davies A. Marietto Pap. Mus. Bouloque 1871—II Rock tombs of El-Amarna

ولكي أظهر ما تحويه تلك التعاليم من معانٍ سامية وآداب راقية أورد هنا بعض عبارات جاءت في كتاب الموتى يقولها المتوفي أمام الآلهة في الآخرة هذه ترجمتها: —

(١) Kurt Sethe Die Altaegyptichen Pyramiden texte 4 vols Lepzig 1901—22
(٢) P. Lacau Sarcophage anterieur au nouvele empire, 2 vols 1904. 6 also Cat. General
(٣) E. Lefebure Annales du Musée Guimet vol. 9, 16 des musie du Caire
(٤) Naville La litanie du Soleil 1875

لم استعمل القسوة مع انسان . لم أسرق . لم أقتل رجلاً أو امرأة . لم أختلس الكيال . لم أرتكب الغش . لم آخذ لنفسي حاجات الآلهة . لم أكذب ولم اهرب القضاء ولم أتفوه بألفاظ جارحة . ولم اهيج على انسان . ولم اقتل الوحوش الخاصة بالمعبودات . ولم ارتكب زنا . ولم أترك الأراضي الزراعية بوراً . ولم اوقظ فتنة . ولم أغضب أحداً . ولم أترك نفسي ضحية الغضب . ولم أتعرض لزوجة يكرهها . ولم ارتكب ذنباً ضد العفة . ولم اسبب رعباً . ولم أتعد حدود الأزمنة والأمكنة المقدسة . ولم أكن غليظ الخلق . ولم أتصنع الصمم وقت سماع الحق والعدل ولم أشعل نار ثورة . ولم أسبب البكاء لانسان . ولم أرتكب الموبقات . ولم أكن أحمق . ولم أسيء الى انسان . ولم أتبع سبيل الرهبة . ولم أتسرع في اصدار حكم . ولم أنتقم لنفسي من معبود . ولم أزد في كلامي عن الحقيقة . ولم أخن أحداً . ولم ألعن ملكاً . ولم أوثر مالي ؛ ولم أتكبر . ولم أشتم معبوداً . ولم أكن سيىء الخلق . ولم أسع لترقية . ولم أزد في ثروتي الا بالحلال . ولم أقصر في احترام معبود مدينتي

ومنها يتضح أن هذه العبارات التي اطلق عليها القوم اسم «الاعتراف السلبي» لم تلك في الحقيقة سوى تعريف مطول لما نسميه « مكارم الاخلاق »

﴿ حكم الفلاسفة ﴾ أقدم هذه هي حكم الفيلسوف (بتاح حوتب) حوالي ٢٥٠٠ ق.م نقتطف منها ما يأتي ترجمة المرحوم كمال باشا : اذا كان لك حاجة عند منازع . وكان يفوقك في المهارة فابسط له يديك واحن ظهرك ولا تغضب منه لانهُ لا يمكنك من نقض حديثه بل يسرؤك كثيراً لو ناقشته في الكلام وحينئذٍ يظهر عدم كفاءتك . الزم الحزم متى حدثت لك مناقشة . اذا كان لك حاجة عند شرس وكان شاذاً في الشراسة فكن كالذي لا يتحرك لتكون أفضل منهُ (لا سيما) لو التزمت الصمت وهو في سباب . ولقد قيل في المثل خير انسان من التزم الحياد . من الصواب التعرف بالكبار

اذا كنت رئيساً تحكم في أمور كثيرة بين العالم فابحث عن أعمال شريفة لتكون غير ملوم . ما أعظم العدل الثابت الاركان الذي لم يكدر صفوهُ من عهد المعبود ازوريس . التعرض في سبيل القوانين مسلك الظلم . لا ينال الوضيع رفعة ما لم يهتد الظالم الى مسلك العدل . حدود العدالة ثابتة . هذا التعريف يأخذهُ كل انسان عن أبيه

لا توقع الرعب (في قلوب) الناس فان الله يجازيك . وان ظن انسان أنهُ يعيش بذلك ينزع الله العيش من فمه . وان تراءى له أن يغتني بسببه يقول له الرب استرد لنفسي (غنائك) . اذا تعدى انسان على آخرين لتظلمهم انتهى أمره الى أن يصير عاجزاً . يجب ان لا يبث الخوف بين الناس . هذا أمر الله كما يجب وصل عيشهم في حال السلم وليقبل منهم ما يعطونه عن رغبة ولا يدعي عليهم لشيء لاخذه بالرهبة . اذا أكلت مع اناس جالسين عند أمير وكانوا اكبر منك فخذ ما يعطونهُ اياك باحترام وتواضع وانظر الى الذي أمامك ولا تحدث فيه لان الانسان يكون مذموماً ان لم يتجنب هذه الخصال . ولا تتكلم بأكثر مما تسأل اذ أنك لا تعلم ما يحتمل استقباحه . تكلم حينما تسأل .

ولكن كلامنا متعلق بالكبير الذي عنده ضرورة لمعيشته يسأل في صيره حسبما يجري فيفعل ما يشاء . فان فعله او اراحة فعل ذلك . لان الكبير متى بسط يده فعل ما لا يتوصل الناس اليه . لكن اذا كانت وسائل المعيشة متعلقة بوالدة الله فليس من الممكن عصيانه

كن نشطاً مدة وجودك رفضالاً لا يقال ولا تضر بوقت نشاطك . فالانسان المذموم هو الذي يستعمل بأوقاته استعجالاً قبيحاً . لا تضيع الفرصة اليومية بزداد ما تمتلكه في بيتك . فالاجتهاد يأتي بالغنى والغنى لا يدوم متى (فارقه) النشاط

﴿ آراء الفلاسفة في العلم ﴾ وردت في ذلك كتابات كثيرة كلها درر ولآلىء منها ما ورد لقرطامر الفيلسوف (آني آمنا)[1] الذي يرجع تاريخه الى الاسرة الثانية والعشرين (٩٤٥—٧٤٥ ق م) نقتبس منه ما تعريبه :—

« اذا كنت طالباً لطائف الخلق اجمع . فهب نفسك للعلم واملأ قلبك به حينئذ لا يلفظ لسانك الا كلاماً بليغاً . ألا فاعلم ان كل موظف ذي مركز علمي لا غنى له عن الرجوع الى مصنفات العلم . ان وزير المالية لا يمكنه تنصيب ابنه في مركزه من بعده ولا قائد القلعة يمكنه تعيين وريثه محله . . . . ويضيف من ذلك ان المناصب الكبيرة لا تنال الا للاكثر علماً والمتن ثقافة

الآثار الادبية

﴿ الشعر ﴾ وردت عدة قصائد ورسالة ضمن آداب اللغة المصرية القديمة حافلة بالمعاني السامية الخيال الرائع . نقتطف منها ما يأتي : —

قصيدة قيلت في ميزستريس الثالث (الاسرة ١٢) مقسمة الى ستة أقسام منها القسم الآتي :—

أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — وأنت كالسد العظيم الحاجز لتيار الفيضان
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت الملجأ الذي يستريح فيه الانسان متى يسطع ضوء النهار
انت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت كالحصن المشيد جدره من أحجار جامدة من مدينة قم
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت مأوى اللاجئين اليك من عبث قطاع الطريق
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت حامي الضعيف الخائف من عدوه القوي
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت مظلة القيظ وخضرة النيل في فصل الحصاد
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت الركن الدافىء الجاف في زمن الشتاء
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت السحر الحامي من ويلات العواصف

واليكم ترجمة أنشودة كان يترنم بها عازف القيثارة في ولائم الوجهاء : —

« ما أسعدك أيها الامير . لعلك تعلم أن هذه الحياة محتم عليها الفناء ، فالاجساد تموت وتعدم ثم يأتي بعدها آخرون يحلون محلها ينظر الى الآلهة (أي القراعنة) الموجودين في الاهرام من قديم

(١) Pap. Ani—Chabas 1874 in L'Egyptologie

الزمان . والى الامراء والحكماء الذين دفنوا فيها تجدهم مغروسين في الحادثة (ولا غرابة) فكل من شيَّد منزلاً (قصراً) وان أثره من الوجود . استمع لي فسأخبرك عما آل اليه أمر هؤلاء القوم . لقد سمعت حكماء (اهوتيا) و(خرزورف) القائمة الصيت ولكن أين هما الآن . لقد تحطمت بيوتهم وانعدمت آثارهم. فلا خبر يأتينا من ناحيتهم ينبئنا عنهم ويطمئن قلوبنا قبل أن نرحل الى ذلك المكان

تناسى تلك الامور واصرف همك فيما ينفعك. اعمل كل ما تطلبه نفسك. عطِّر رأسك بالمر واكس نفسك بالكتان الجميل المعطر بالروائح الذكية المقدسة واكثر من الفرح والسرور حتى لا يحزن قلبك

اتبع شهوتك ومسرتك وسير الامور كما تشتهيها حتى يأتيك يوم الحزن وهو اليوم الذي لا يسمع فيه قلبك الساكن ما يدور حوله من النحيب

البكاء لا يعيد للميت الحياة . فتنعم اذاً في هذا اليوم الجزل . ولا تهمله يذهب سدًى . فلا أحد يأخذ من الدنيا شيئاً معه كما أنهُ لم يرجع الى هذه الدار من ذهب الى الدار الآخرة

﴿ القصص والروايات ﴾ وصلنا منها عدد كبير نقتطف منها ما يأتي :—

روي أن اميراً شابًّا حكمت عليه المعبودات وقت ميلاده ان يموت بتمساح او بثعبان او بكلب فسافر الى سوريا حيث وجد قصراً تسكنه ابنة ملك النهرين وحوله الثعبان يحاولون قتلها وذلك لان والدها وعد ان يؤهلها لمن يتسلق جدار القصر . فحاول الامير المصري ذلك ونجح وبلغ الاميرة لكنه ادعى اولاً انهُ ابن ضابط مصري مختفياً بذلك حقيقتهُ . فلما علم ملك النهرين بخبره احتاط وامتنع عن اعطائه ابنته حتى كاد يقتله حينئذٍ اقسمت الاميرة انها تنتحر اذا أعدم الامير فتكدر والدها من هذا القسم واخيراً سمح لها بالاقتران به . وجاء ان الامير نجا من الموت من تمساح ثم من ثعبان ونفدت بقية القصة بعد ذلك والمظنون انها انتهت بموت الامير من كلب يتبعه من مصر طول رحلته الاسيوية ويلاحظ ان هذه الرواية تحوي اقدم مثال للعقيدة العالمية بأن كل شاب يتحتم عليه قبل الاقتران بزوجته ان يظهر لها ضروب الشجاعة كي يستميل قلبها

ومن قصصهم ايضاً ما تناولت امور الفلاحة وهي تعرف بقصة الاخوين تتلخص في ان اخوين عاشا معاً في كوخ بأحد الحقول وكان اكبرهما متزوجاً قابضاً على زمام البيت . اما الاصغر فكان عائشاً معه كابن له فصبت نفس زوجة الكبير الى الصغير فرفض طلبها . عندئذٍ ارادت ان تكيد له فوشت في حقه عند اخيه الكبير فصمم على الاقتصاص من اخيه واراد قتله خلسة . فتحفز له وراء الباب . وفي مساء اليوم عاد الاخ الصغير بالبهائم ليدخلها اصطبلاتها فلحظت احدى هذه الحيوانات الامر وامرّت الى راعيها بما يضمر له لاخوه الكبير فلما علم بذلك فرَّ هارباً خوفاً من القتل ثم حصلت بين الاثنين حوادث خرافية لا تتمشى مع ما جاء اولاً من مطابقتها للواقع . وبالتأمل في هذه الحكاية يجد القارىء في جزئها الاول شبهاً لقصة سيدنا يوسف الرامية التي رواها لنا بنو اسرائيل وجاء شرحها بالذكر الحكيم والتوراة

القانون والقضاء

جرت العادة ان يرفع كل متظلم او مدّع دعواه الى الوزير كتابة ويستحسن حضور صاحب الطلب بنفسه . ولذلك كان قصر الوزير ملجأ يجيء اليه المدعون والمتظلمون كل يوم . وكانت تعقد في هذا القصر كل يوم جلسة لاصدار حكمها في تلك الدعاوي. ودلتنا الآثار ان هذه الجلسات كان يؤدي اظامها حجّاب ونقبة . وكان الناس يدخلونها بالترتيب بعد ما يصفون استعداداً لمثولهم بين يدي الوزير . وحتم القانون على الوزير اصدار حكمه في قضايا الاراضي المتعلقة بطيبه في ثلاثة ايام من تاريخ رفع الدعوى . اما قضايا الاراضي الخارجة عن طيبة فالنطق فيها كان لا يتأخر عن شهرين . هذا كان النظام القضائي مرعيّ الجانب لما كانت المملكة تحت اشراف وزير واحد . لكن لما عين وزير ثان للشمال قُسم النفوذ والسلطان بين وزيري الشمال والجنوب وكل جرائم طيبة كان ينظرها الوزير شخصيًّا . اما المجرمون فيحجزون في سجون خاصة ما داموا في التحقيق فاذا صدر الحكم عليهم ارسلوا الى سجون اخرى ينفذ فيها العقاب . ولكل قضية اوراق تحفظ في السجلات الرسمية كما هو الحال الآن . ويتحتم على كاتب الوصية ان يسجلها شخصيًّا في قصر الوزير . وتحفظ صور لجميع المستندات وحدود الاراضي والعقود في ادارتي وزيري الجنوب والشمال . وكل طلب يقدم للملك يتحتم عرضه على الوزير اولاً

وزيادة على قصري الوزيرين انشئت بالارياف محاكم فرعية من رجال الادارة المتمرسين على تطبيق القانون ويعرفون رجال المجلس المحلي والقضايا الكبيرة الخاصة بالاسر الرفيعة كان يتحتم فيها ارسال مندوب من مجلس القضاء الاعلا لينفذ قرار ذلك المجلس بمعرفة رجال اقرب مجلس محلي

وكان القانون الذي يلجأ اليه الفقير غاية في العدالة . وجرت العادة ان ينسخ في اربعين درجاً رديئًا ويوضع على منصة القاضي وقت انعقاد المحكمة لمراجعة وزيادة الايضاح وكان يسمح لكل شخص ان يقرأ القانون ويستفسر الغامض. ومن دواعي الاسف اننا لم نعثر على نسخة من ذلك القانون الذي لا نشك لحظة في عدالته فقد جاء في الآثار ان الوزير كان يحكم بالعدل بدون محاباة حتى كان يخرج المتخاصمان من حجرته مجبوري الخاطر . وجاء أن احد الملوك قال امام احدى المحاكم بأن « القانون ثابت لم احدث فيه تغيير . لذلك التزمت خطة السكوت خوفاً من احداث الفرح والسرور » وبلغت العدالة حدًّا لا يكاد يصدقه العقل . من ذلك انه لما ظهرت مؤامرة لاغتيال حياة ملك لم يكتف الملك بتحقيق مختصر واصدار حكم الاعدام على الجناة بل اصدر امره بتشكيل محكمة للنظر في القضية بشرط ان لا تصدر حكماً بعقاب المتهمين الا بعد ثبوت اجرامهم

واليكم مادتين من قانون حور محب

(١) كل موظف او كاهن يقال عنه انه عين في القضاء ليحكم بين القضاة وهو يجني على القانون يحاكم بتهمة الخيانة العظمى » (ب) كل شرطي علم عنه انه دخل المساكن لاجل سرقة الجلود يحكم عليه ابتداء من هذا اليوم بمائة جلدة ويجرحه في خمسة مواضع ثم تسترجع منه الجلود المذكورة »